



أنوار السنة المحمدية

(التعليق على رياض الصالحين)

المحاضرة التاسعة

المقدّمة

أعمال القلوب من أبواب الدّين الكبرى، ومن يهملها يفته خير كثير، لذا يجب العناية بها وعدم التقليل من شأنها أو اعتبارها بابًا جانبيًا يُلتفت له من فترة لأخرى فقط، بل يجب أن تكون محل عناية ودراسة وتربية، وتُدرس معها أبواب العلم المحضة، لينزل العلم منزله الصحيح في القلوب التي تهيات بالإيمان.

الصبر من أبواب الدين العظيمة، وقال عنه ابن مسعود أنه **نصف الدين**.

أنوار
السنة
المحمدية
(التعليق على
رياض الصالحين)

باب الصبر

الأحاديث

1. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَغَكًا شَدِيدًا قَالَ: "أَجَلُ إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ" قُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: "أَجَلُ ذَلِكَ كَذَلِكَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحَطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا" متفقٌ عَلَيْهِ. وَ"الْوَعَكُ": مَغْتُ الْحُمَى، وَقِيلَ: الْحُمَى.

الفوائد

- النبي ﷺ الذي هو خير المرسلين وفتحت له أعظم أبواب الأجر ابتلاه الله بالمرض ليكون بوابة له للأجر. فالمرض من أكبر أبواب الأجر ورفعته الدرجات، ولم يكن ثقل مرض النبي ﷺ عاديًا بل كان ضعف ما يصيب الإنسان العادي منه، وبمضاعفة الألم يُضاعف الأجر.
- في الحديث تصحيح نظر الإنسان لما يصيبه من أمراض وشدائد، فهذه القضية في ميزان الله تختلف عن ميزان الرحمة البشري الذي يرى أن الرحمة تكون بإبعاد الأمراض، بينما المرض في ميزان الله رحمة لأنه يُكفر السيئات، وما أشد احتياج الإنسان لتكفير السيئات في الآخرة!
- جمع الله لنبيه ﷺ أنواع الابتلاءات التي يمكن أن تجتمع على إنسان، فقد نشأ يتيماً، وتعرض للأذى القولي والبدني، وأصابه المرض، وواجه الكثير من الصعاب والتحديات المتنوعة في مصادرها، فمنها ما مصدره المشركون، ومنها اليهود، ومنها المنافقون، ومنها الأعراب، ومنها مطالب الناس وحاجاتهم وأسئلتهم، ومنها بيوته....

● وربما من أشدها البلاء المعنوي بتكذيب الناس له، وخصوصًا إن كان التكذيب من أناس لهم قيمتهم لا من السفهاء، لذا كان ينزل القرآن بمواساته ﷺ فيما يتعلق بأقوالهم التي يضيق صدره بها {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاءِيتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} وهذا فيه مواساة كبيرة، فإذا عرفت يقينًا أن من أمامك يكذب مكابرًا وأنه في الحقيقة لا يكذبك فهذا يهون الشخص في نظرك فيهون عليك كلامه.

● الإنسان مهما بلغت منزلته عند الله تعالى فهو لا يستغني عن الأجر، فالنبي ﷺ -وهو النبي ﷺ- لم يكن بمستغني عن الأجر بمختلف أبوابه، وقد ورد أن النبي ﷺ في الطريق إلى بدر قال: "ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما"، فما بال من دونه يشعر بأنه مستغني عن الأجر وكأنه ضمن الجنة ولا يرى تقصيره!

2. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ"، رواه البخاري وضبطوا "يُصِبْ": بفتح الصاد وكسرها

الفوائد

● إن لم يُصِب الإنسان في طريق الخير بابتلاءات فكم من أبواب الشر قد يُفتح له!

● في الحديث إعادة ضبط المفاهيم، فالمُتصوّر عند الناس أن من يرد الله به خيرًا يجعله في رضاء وعافية ويبعد عنه الابتلاءات، بينما الحديث يوضح العكس، بل إن الرضاء قد يكون استدراجًا للعذاب {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}، لذا لا بد من إعادة ضبط هذا المفهوم خصوصًا في ظل انتشار وتضخيم فكرة السعي للنجاح والتميز في الحياة وإرادة العيش بقوانين الجنة في الحياة الدنيا، وهذه مجرد أوهام لا يمكن تحقيقها.

● المؤمن لا يسعى للبلاء ولا يتمناه، بل يسأل الله العافية، ولكن إن أصابه يصبر ويرضى ويحتسب، فهو يعلم أن من سنن الله أن يبتلي عباده المؤمنين.

● الابتلاء في حياة المؤمن ليس مرحلة مؤقتة بل مستمرًا، يقول النبي ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً، وَتَغْدِلُهَا مَرَّةً، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأُرْزَةِ، لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ أَنْجَعُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً".

● إن لم تكن هناك ابتلاءات في حياة إنسان مؤمن فليعلم أن هذا لنقص إيمانه "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدَرِ دِينِهِمْ فَمَنْ تَخَنَ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلَاؤُهُ".

● من المعينات على الصبر إدراك أن ما أصابك خيرٌ وليس عقوبةً.

3. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضْرَّ أَصَابُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فاعِلًا فليقل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي" متفق عليه

الفوائد

● المقصود في الحديث تمني الموت لضر أصاب الإنسان لا يتحملة، أما تمني الموت لأجل السلامة الدينية والنجاة من الفتن فقد استثناه كثير من العلماء، وإن كان الأسلم أن يدعو بالدعاء المأثور "اللَّهُمَّ يَعْلَمِكَ الْغَيْبُ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي" وفي هذا الحديث نفسه يدعو النبي ﷺ أيضا: "وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَيَّ وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ" أي يسأل الله الشوق إلى لقائه، وألا يكون سبب هذا الشوق ضرا أو فتنة مضلة.

● تمنّي الموت إذا نزل الضر منهّي عنه.

● هذا الحديث لا يتعارض مع أحاديث سؤال الله الشهادة، بل هذا من أبواب الأجور العظيمة، وقد ينال الإنسان به أجر الشهداء.

4. وعن أبي عبد الله خباب بن الارت رضي الله عنه قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمِشَطُ بِالْمِنْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لِيَتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنَ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنْكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" رواه البخاري.

وفي رواية: "وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً".

الفوائد

● النبي ﷺ قال "ولكنكم تستعجلون" لأناس لم يكونوا خارج دائرة الابتلاء أو بعيدين عن ميدان المدافعة بين الحق والباطل، بل أناس قد عانوا وكابدوا وواجهوا الشدة، ونحن اليوم نبتلى بأناس يستعجلون وهم في عافية ورخاء، ولم يواجهوا شدة، ولم يدافعوا باطلاً، ولم يُضحوا نصرة لدين الله، فأولى من يُقال لهم هذا هم العاملين الصابرين.

● الصحابة -رضوان الله عليهم- لاقوا شدةً وبلاءً كبيراً في مكة، ومن أشهر من عُذِّب: خباب وصهيب وبلال وعمار وأبوه وأمه، وجاء في الأحاديث أن ما منهم من أحدٍ إلا أجاب عدا بلال، فإنه قد هانت عليه نفسه في الله.

● هنا يطلب خباب من النبي ﷺ أن يدعو لهم أن يرفع الله عنهم البلاء، فجاءه جواب النبي ﷺ الذي فيه قدر من العتاب، وذكره بمن كانوا يُعذَّبون في الأمم السابقة، فمن أعظم ما يعين على الصبر والثبات

استحضار أحوال الصابرين والثابتين من السابقين، ولذلك قصّ الله على نبيه ﷺ في القرآن الكثير من قصص الأنبياء {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} فكان النبي ﷺ يستحضر قصص الأنبياء ويتصبر بها.

● من أعظم ما يعين على الصبر والثبات التفاؤل بالمستقبل وفتح باب الأمل والبشرى بالعاقبة الحسنة.



أنوار السنة المحمدية

(التعليق على رياض الصالحين)